International Journal for Scientific Research (IJSR)
Vol. (2), No. (7)
IJSR
July 2023
المجلة الدولية للبحوث العلمية
الإصدار (2)، العدد (7)

دعوة الإسلام تكامل حضاري وليست صدام حضاري - نقض جديد لنظرية هنتغتون

سالم فرج صالح رحيل
أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة طرابلس، ليبيا،
s.rahil@uot.edu.ly

خلاصة البحث:

تظهر بين الحين والآخر في هذا العصر دعوات للحوار والتقريب بين المجتمعات الإنسانية ذات الأديان والعرقيات المختلفة؛ وخاصة بين الغرب والإسلام، لكن هذه المحاولات تصطدم في أحيان كثيرة بدعوات الكراهية والتخويف من الآخر والتشكيك في نواياه، وكما أنها تُواجَه برفض من اليمين المتطرف في الغرب، فهي أيضاً تواجه برفضٍ من متطرّفين في الشَّرق.

وهذه الورقة تطرح عدة تساؤلات في هذا المسار مركزة على نقد نظرية هنتغتون بطريقة جديدة بالنظر إلى آراء عدد من أرباب السياسة الغربية، كما أن هذه الورقة تتطرق لوجهات نظر علماء مسلمين وآخرين غربيين حول قضية الصراع وحقيقته، وبراءة الإسلام مما نسب إليه من العداء للأمم الأخرى وخاصة العالم الغربي الذي يربطه بالعالم الإسلامي مواقف تاريخية، وأخرى اقتصادية وسياسية تجددت في القرن الماضي والحالي، كما سعت الدراسة لتجلية هذه المواقف والبحث عن مواطن التقارب والالتقاء بين العالمين الغربي والإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الصراع، هنتغتون، الإسلام، الغرب.

The Message of Islam is Civilizational Integration, not Civilizational Clash - A New Rebuttal of Huntington's Theory

Salem Faraj Saleh Rahil
Assistant Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, University of Tripoli, Libya,
s.rahil@uot.edu.ly

ABSTRACT

There are some debates occasionally for dialogue and rapprochement to close the human societies of different religions and ethnicities, especially between the West and Islam, but there are some obstructions thwart these attempts.

This paper has several questions in this track, and it focuses on the criticism of Huntington's theory in a new way. This paper also addresses the views of Muslim scholars compared to Westerners on the issue of conflict and its reality, and Islam`s innocence from what has been attributed to its hostility to other nations, especially the Western world, which links it to the Islamic world, has historical positions, and other economic and political positions that have been renewed in the past and the current century.

Keywords: Dialogue, Conflict, Huntington, Islam, Western World.

المقدمة

الحمد رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه وعلى آل بيته وأصحابه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

أما بعد:

فإن المنحنى الخطير الذي نراه في هذه الأيام بالهجوم على الإسلام، ووصفه بأنه دين الإرهاب والتطرف، دعوات باطلة تعرَّى أصحابها رغم إصرارهم على الباطل، وجحدوا جورها وظلمها وإن بدا لهم زيفها وباطلها، فكانوا كما قال الله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}[النمل: 14]، وهذا الجحود دفعهم للتمسك بأقاويلهم الزائفة، ومع هذا فإن الحاجة تدعو يوماً بعد يوم وخاصةً بعد ثبوت عكس ما روجت له نظرية صراع الحضارات التي أطلقها هنتغتون مدعياً فيها حتميَّة (الصراع مع الإسلام)، وقد أثبتت الحرب على أوكرانيا أن الصراع ليس مع الإسلام، ولكنه صراع غربي شرقي على غرار الاتحاد السوفيتي والحرب الباردة، فهو صراع نفوذ وتسلُّح واقتصاد، وليس صراع أديان وثقافات.

ولا قيام للسَّلام بدون الحوار المحقِّق للأمن والتَّعايش، ويعتبر الحوار والبعد عن الصراع الثقافي والحضاري من الرَّكائز الأساسيَّة لحياة إنسانية طبيعيَّة ومستقرَّة، ولتحقيق هذه الغاية لابد من مد جسور التعارف والتكامل بدلا من النزاع والتصارع، وهذه الطرق المثلى لتحقيق الأمن والسلام، وهي جوهر دعوة الإسلام، والتقارب الحضاري من العوامل التي تُساعد على ترسيخ السَّلام داخليًّا وخارجيًّا وخاصَّةً في هذا العصر، حيث صار "السَّلام والأمن" القيمة والمطلب العالي اللَّذَين تَسعى المجتمعات الإنسانية لتحقيقهما، وشكَّل السَّلام بما تكتنفه من مخاطر؛ الهاجس الأوَّل للعالم ومثار قلق للدُّول والحكومات في القرن الحالي.

أهداف البحث:

1. التأكيد على عالمية الإسلام وقدرته على التصالح والإصلاح للبشرية جمعاء.
2. نقض نظرية هنتغتون بأسلوب جديد يشارك فيه الغرب أنفسهم.

إشكالية البحث:

على الرغم من المحاولات الحثيثة التي سعت وتسعى إليها دول إسلامية عديدة لمد جسور التقارب مع العالم الغربي، إلا أن الكثير من هذه الجهود تقابل بالرفض أو التشكيك من ساسة الدول الغربية، وبعضهم يجامل هذه المشاريع التصالحيَّة لغرض سياسي أو اقتصادي، ولكن الغربيين لا يتعاملون مع هذه المحاولات معاملة جادة، بل إن بعضهم ينظر بعنصرية واستنقاص للأيادي الممتدة من عدد من البلدان العربية والإسلامية، وهذه يطرح التساؤلات الآتية:

- كيف نميز صفة التسامح التي اتسم بها الإسلام في ظل الأجواء التصادمية مع الغرب؟
- هل التصالح مع الغرب أكذوبة أم حقيقة؟ وهل الغرب مستعدٌّ حقاً لتصالح فعال وجاد؟
- هل عقلية التصادم التي أفصح عنها كتَّاب غربيون من أمثال هنتغتون ما زالت مسيطرة على العقلية الغربية؟ وهل الغرب كلهم سواء في فهمهم لفرضية الصراع؟

هذه الأسئلة وغيرها يمكن أن يكون البحث محاولة للإجابة عنها في العناوين الآتية:

المطلب الأول: مناقشة لكتاب صدام الحضارات:

تعرَّض كثيرٌ من الباحثين المسلمين لنقد نظرية: (صدام الحضارات) التي أطلقها هنتغتون عالم التاريخ والسياسة الأمريكي، وكذلك تعرضوا بالنقد لكتاب: (نهاية التاريخ والإنسان) لفرانسيس فوكوياما الذي قسَّم العالم إلى عالمين:

- أحدهما لا يزال أسيراً للتاريخ ويصعب تحرره منه أو يكاد يكون ميؤوساً.
- عالم أنجز رحلة التاريخ كلها، وتجاوز صراع الواقع والمفهوم، وصار ينعم بطبيعة هادئة.

وهذه المفاهيم ولا شك تعزز مفهوم القومية الاقتصادية الذي سينتج عنه تقسيم الأمم إلى فسطاطين:

1- الحضارة التي تستحق الفوز بكمال التاريخ.

2- أمم عجزت دون استحقاق الفوز بهذا الكمال [1].

1- نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، فريق الترجمة: (فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي)، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993م، ص: (7-15).

وواضحٌ أنَّ فكرة التصادميَّة القائمة على التفريق العرقي وإعلاء الثقافة الغربيَّة وكأننا في حلبة "صراع الأيدلوجيات" والتي ستكون الغلبة فيها حتماً للعنصر المادي، على أساس افتراض "الصراع الإنساني من أجل البقاء" أو "البقاء للأقوى" ، كما هو الحال في قوانين الغاب، تلك الآراء التي شكَّلت حائط الصدِّ بين الإنسانية وقيم التَّسامح العام، والْمُشكلة الكُبرَى تكمن في النَّظرة القَاتِمَة التي ينظر من خلالها بعض الكُتَّاب الغربيين في تصوير الإسلام كعدو رئيسي للغرب، من منظور ثقافة رَاسخة في المدارس الغربيَّة على أساس العهد الماضي البعيد، حيث كان المسلون في قلب أوروبا- ومع أنَّهم لم يُكرهوا الناس على الإسلام وتركوا أسبانيا منذ قرون خلت، بعد أن خلَّفوا وراءهم تراثاً عظيماً من الحضارة والعلوم والمعارف- إلاَّ أنَّ رواسب هذا الماضي مازالت حاضرة في أذهان هؤلاء، وتساهم في بناء صورة سيِّئة عن الإسلام؛ كما تعيق تَقبُّل الغرب للحوار الهادئ والصريح مع المسلمين، النظرة القاتمة التي رسمت في أذهان الغربيين عن الإسلام، "والعقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات؛ هي النظرة التي حملها الغرب منذ آلاف السنين عن الإسلام"[1].

وأثناء حقبة الاحتلال الغربي للشرق أشعل الغربُ الحروب وأحرقوا المدن ونصبوا المشانق، حيث قُتِل الملايين في بُلدان العالم الإسلامي، ولم تَعرف البشريَّة دمويَّة ولا قتلاً على الْهُوِيَّة كما فعل الاستعمار الغربي للشَّرق بآلته العسكريَّة الفتَّاكة، وما أعقب ذلك من نشوء الحرب الباردة بين الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة والاتحاد السوفيتي، إلى أن انهيار الاتحاد السوفيتي نتيجة عوامل مُتراكمة، كان على رأسها فشل النِّظام الاقتصادي أو ما عرف بـ(رأسملية الدولة)، وأدَّى ذلك إلى انهيار العملة حتى صارت النقود في الاتحاد السوفيتي لا قيمة لها أو بالكاد تسد الرَّمق[2].

أ- ادعاء هنتغتون بين الفرضية والنظرية:

لطالما اعتُبِرَت نظريَّة هنتنغتون لـ(صدام الحضارات) واحدة من أهم الأطروحات الوثيقة الصلة بإشكاليات الثقافة والصِّراع الحضاري في الفكر المعاصر، وهي وإن كانت تُشكِّك في الفرضية الأولى: "نهاية التاريخ والإنسان"[3]، كما أنها اعتبرت معاكسة لها، ويبدوا للوهلة الأولى أن الأمر كذلك، أما عند التعمق للوصول إلى مستوى معرفي وتحليلي سنعرف أن الأمر مختلف تماماً، لأنهما يؤكدان على نفس الثنائيَّة وهي: الاستقطاب الحاد والمتطرف؛ بين الأنا الغربي الحديث والعلماني من جهة، والآخر المختلف عن الغربي الحديث والعلماني من جهة أخرى، وهذا هو واقع صراع الحضارات الذي يتبناه كل منهما، والاختلاف بينهما يكمن في سرعة الوصول ففوكياما زاد حماسه وتوقعاته وأعلن "وصلنا" ولذا

1- الإسلام دين المستقبل لروجيه غارودي، ص 173.

2- انهيار النموذج السوفيتي: الأسباب والنتائج، كريس هارمان، ترجمة: خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، ط1، 2010م، ص99.

3- في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: عبد الرزاق الدواي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013م، ص55.

رأيناه يُصرِّح بنهاية التاريخ وانتصار الذات على الآخر، بينما نرى هنتنغتون ليس متقائلاً مثل فوكوياما فهو يرى أن الطريق ليس سهلاً وهو مليء بالعقبات، لكنهما يؤيِّدان فرضيَّة الصراع[1]، إلاَّ أن نظرية هنتغتون نالت الشُّهرة الأكثر والعناية الأكبر منذ بروزها كنظريَّة في مقالة نُشِرت قبل ما يقرب من 30 عاماً، وقد بنى "هنتنغتون" فرضيَّته هذه على تصوُّر عدو جديد للغرب يَخلُف الاتحاد السوفيتي مدَّعياً أنه "الإسلام"، وقد حظيت هذه الفرضية بالاهتمام الأبرز من الكتَّاب والباحثين الإسلاميين والغربيين على حد سواء، "حتى عدَّها البعض بمثابة النظريَّة"[2]، يقول الأستاذ: (سيد منسوب مرشد Syed Mansoob Murshed) المحاضر في جامعة (ايراسموس Erasmus) في مقاطعة روتردام الهولندية، لقد مرَّ الآن عقدين من الزمن منذ أن طرح صامويل هنتنغتون فرضيته عن صراع الحضارات متوقِّعاً أن طبيعة الصراع المستقبلي تكون ثقافية، مع وجود احتمال أكبر أن تكون بين الإسلام والغرب، لكن الحقيقة تكمن في ازدراء هُويَّةٍ كالْهُوية الإسلامية دون النظر إلى القواسم البشرية المشتركة، وهذا ما يتم ترسيخه بانتظام في مقولات مثل مقولة: ويليام موير في عام 1878م التي تقول "إن سيف محمد والقرآن هما ألد أعداء الحضارة والحرية والحقيقة"، دون الإشارة- وكما يقول سيد- إلى المقولات الإسلامية الحضارية التي تمنع المسلمين الْمُخلصين من العنصرية وتحثهم على احترام الأديان الأولى كاليهودية والنصرانية، ثم يضيف سيد قائلاً: "تُساعد هذه التفسيرات- المشوهة للإسلام- في فهم ظاهرة ارتفاع شعبية نظريات الصِّدامات الحضارية بين الغرب والإسلام"[3]، وبمعنى آخر فإن الكاتب يُلمِّح إلى أن هنتغتون ونظريته ليس سابقةً في الغرب، بل هناك من سبقه في هذا التَّوجه، كما لو كان ديدناً عند طائفةٍ من الكتَّاب الغربيين، وهذا التركيز على دعوات التَّصادم والصِّراع تُلهِب الرُّوح العدائية في المجتمعات الغربية والإسلاميَّة على حد سواء، في حين أن مظاهر كثيرة من التَّسامح والعطف الديني والاجتماعي الموجودة بين الإسلام والغرب لا يتم التركيز عليها.

1- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م، ص166.

2- لا يعتبر كثير من الباحثين مقالة هنتنغتون "صدام الحضارات" نظريَّة، ذلك أنها لم تنضج لتصبح نظريَّة، ولم تختبر على نطاق واسع، فهي لا تعدوا كونها تخميناً أو افتراضاً، ويرى أصحاب هذا القول تصنيفها كفرضيَّة معرَّضة للتشكيك والدحض، وقد تعرَّض لها عدد من الباحثين بالنقد والاعتراض، وخطَّؤوا ما ذهب إليه هنتنغتون من القول بحتمية الصدام بين الحضارات، وخاصة (الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية).

3-The Clash of Civilizations Twenty Years On EDITED, J. PAUL BARKERE-INTERNATIONAL RELATIONSEDITED COLLECTIONS, Published by e-International Relations (Bristol, UK) October 2013.

إن هذه الفرضيَّة التي قال كاتبها صامويل هنتغتون: "إنها ليست عملاً في العلوم الاجتماعيَّة، إنما هي تفسير للتَّطوُّرات السِّياسيَّة الكونية بعد الحرب الباردة"[1]، وبنى رأيه على افتراض صرَّاعات الغرب القادمة مع الإسلام، لأن أربعة عشر قرناً- كما يذكر- تقول بذلك، وكان في رأيه هذا مخالفاً للعديد من السَّاسة الغربيين ومنهم الرئيس السَّابق "كلينتون" الذي قال: "إن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أي مشكلة، وإنما المشكلة موجودة فقط مع المتطرفين الإسلاميين"[2].

ب- الصراع إلى أين في نظر علماء الإسلام وعلماء الغرب:

لقد أدَّت نظرية هنتغتون-صدام الحضارات- إلى استنزاف جهود كثير من علماء المسلمين في الرَّد على هذا الافتراض الشَّائن، وعارض هذه الفرضيَّة عدد من العلماء والباحثين المسلمين من أمثال الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي الذي قال متسائلاً: هل الغرب بعد الاتحاد السوفيتي يحتاج إلى عدو ليوجه الأنظار إلى معاداته؟ أين أداء الغرب من الحوار؟ كما ألف كتابه: (نحن والغرب أسئلة شائكة) للردِّ على المسائل التي تنظم علاقة الإسلام بالغرب، وكيف أنها كانت مضبوطة بميزان الشَّرع الذي حفظ لأهل الذِّمَّة كرامتهم وصان أموالهم في جوار الإسلام[3]، ومنهم أيضاً؛ الدكتور: حازم الببلاوي وكتابه:"**نحن والغرب عصر المواجهة أم التلاقي**" وقد ركَّز على علاقة المسلمين والغرب منذ قديم الزمان مذكِّراً بالمذابح التي قام بها الصليبيون القدامى، كما لفت الأنظار إلى مسألة مهمَّة تؤكِّد على التلاقح الحضاري بين المسلمين والغرب قائلاً بهذا الصدد: "إذا كان الغرب قد ساهم في تحرير الإنسان-كما كان سبباً في الكثير من شقائه- فإنَّه سوف يكون من الاجحاف الاعتقاد بأن مساهمات الآخرين كانت أقل أهميَّة وخطورة، وبِوجهٍ خاص فإن للعرب والمسلمين إسهاماتٌ لا تُنكَر في هذا المجال"[4]، ومن الدراسات المهمة التي وضعت نظرية: "صدام الحضارات" تحت المجهر، دراسة لقيس ناصر راهي بعنوان: "**صدام الحضارات: دراسة نقدية في جيونا لوجيا المفهوم**" لقد أكَّد قيس في دراسته هذه على أن "الصدام" تَوجُّهٌ قديمٌ كان يتقمَّصُه كُتَّاب ومؤرِّخون غربيون كُثر، من أمثال: (أرنولد اتوينبي Toynbee Arnold) صاحب كتاب "**الحضارة في الميزان**"، وأيضاً؛ (برنارد لويس Lewis Bernard) الذي كان

1- صدام الحضارات ... إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، هيئة الكتاب المصرية، القاهرة، ط2، 1999م، ص30.

2- المرجع السَّابق، ص338.

3- ينظر: أين اداء الغرب من الحوار -صدام الحضارات، الشيخ يوسف القرضاوي، 23-أكتوبر-2020م، على: https://www.youtube.com/watch?v=kVfSNp2v4As، تاريخ زيارة الموقع: 2020/12/19م.

4-نحن والغرب: عصر المواجهة أم التلاقي، حازم الببلاوي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م، ص24.

IJSR, VSRP Publishing, UK ISSN: 2755-3418 (Online)
Website: https://ijsr.vsrp.co.uk

يفتخر بأنه أوَّل من قال بصدام الحضارات عام 1957[1]، وقد استشهد قيس بالعبارات التي قالها برنا لد لويس بهذا الصدد، ومنها: ".... علينا أن نفكر في الأمر على أنه صدام للحضارات، وردُّ فعل قد يكون انفعالياً، ولكنه بالتأكيد حقيقي وتاريخي، إنه ردُّ فعلٍ خصمٍ قديم لتراثنا اليهودي والمسيحي ولحاضرنا الحداثي المعاصر"[2]، وقد ذكر قيس في نقده لنظرية "هنتنغتون" أنَّ أخطاءً كثيرةً اجتاحت تصورات هذا الكاتب الغربي في نظريته التصادميَّة، ومن بين أبرز هذه الأخطاء اهماله لذكر الدَّولة وتأثيرها على الأوضاع المستقبلية الأمر الذي جعل نظريته مباينة للواقع[3].

وقد ناقش هذه الفرضيَّة "صدام الحضارات" عدد من العلماء الغربيين، من أشهرهم: هارالد موللر الذي ردَّ على هنتنغتون في كتابه: "**تعايش الحضارات مشروع مضاد لهنتنغتون**"، وقد كانت ردوده مفحمةً لصاحب النَّظريَّة التَّصادمية، كيف لا وهو الكاتب الغربي الألماني الذي يَعرِف كيف يجمع ردوده على النَّمط المعروف من رَحِم المدرسة الغربيَّة وبالطريقة التي يفهمها الغرب، وقد قال موللر "إن الاستقرار والانفتاح هما مفتاحا الشِّيفرة، مع رفع القدرة التَّنافسية، ... وينبغي أن نزيد من معرفتنا بالثقافات الأخرى، لأن معرفتنا- ويقصد المجتمعات الغربية- بالإسلام أو الهندوسية والبوذية تُعدُّ صفراً، وقد اجتاز الغرب الحوار مع الشيوعية بنجاح، لأن كل فرد منَّا كان يمتلك فهماً أساسِيّاً لهذا الآخر"[4] لقد دعا موللر إلى التَّحاور مع العالم الإسلامي، بل سماه "التَّصالح مع العالم الإسلامي" مذكِّراً بأهميَّة التصالح مع هذا السَّواد العظيم واصفاً هذه المسألة بأنها أهم بكثير من التَّصالح مع أيِّ مجتمعات أخرى، واستعمل كلمة: **(مُنغرِس)** للتَّعبير على مدى الالتصاق بين المسليمن والغرب، قائلاً: "فقد بات هذا العالم الإسلامي مُنغرِساً في مجتمعاتنا أنفسها من خلال الهجرة"[5]، كما أنهم سيتحوَّلون إلى المواطنة من خلال التَّحول الليبرالي بحيث يصيرون متجذرين وأكثر حضوراً بين ظهرانينا نحن الأوروبيين، علاوة على أنهم جوار مُهم مُشرف على أوروبا ويُطلُّ على شواطئها، وإن رفضهم يَمسُّنا مباشرةً لأن هناك إفراطاً في وضع الحدود بيننا وبينهم[6]، وهذه العبارة من أهم العبارات التي تُشخِّص المشهد الحالي الذي يُصوِّره كُتَّابٌ على نمط "هنتنغتون"، لأن هؤلاء- أي المسلمين المقيمين في الغرب، لو كانوا فعلاً على العقلية الصِّدامية كما يزعم هنتنغتون في نظريته- سيكونون خطراً داخلياً مُحدِقاً بأوروبا والغرب عموماً، والواقع إن هذا الشعور متجذرٌ في عقلية المدرسة اليمينيَّة في الغرب التي تدعو إلى تنقية العرق الأبيض، وهو

1- صدام الحضارات: دراسة نقدية في جينالوجيا المفهوم، قيس ناصر راهي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2017م، ص31.
2- المرجع السابق، ص32.
3- المرجع السابق، ص94.
4- تعايش الحضارات: مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: إبراهيم أبوهشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005، ص320.
5- المرجع السابق، ص307.
6- المرجع السابق، ص 307.

اعتقادهم لما يجب أن يكون عليه الحال في المستقبل، وهذا ما يتناقش فيه ساستهم في الغرف المغلقة وكأنه أمر واقع لا مفر منه، وهم في سبيل هذا المستقبل الذي يَحذَرونه يُعدِّون الْخُطط ويُثيرون النِّزاعات والقلاقل في البلدان الإسلامية، وكأنَّ إشعال هذه الحروب جزءٌ من الضربة الاستباقية للمستقبل المزعوم الذي يُحذِّرهم منه أسِيرُوا النظرية الصدامية من أمثال هنتنغتون، وهناك دراسات حديثة أشارت لما يُشبِه الإعداد لهذا الصراع الذي ينتظرونه ويهيئون الشارع الغربي له، ويمكن التحقق من ذلك بسؤال محوري:

ج- هل السَّاسة الغربيون والمجتمع الغربي مقتنعون بنظرية "صدام الحضارات"؟

هذا سؤال مهم جداً والإجابة عنه تُهِم المجتمعات الإسلامية المتطلِّعة إلى بناء علاقات متوازنة مع الغرب، والواقع المعاصر شاهدٌ على ذلك، وقد سبقت الإشارة إلى حجم التَّأثُّر الإيجابي بصنوف من العلوم والمعارف الغربية، ومدى التَّلاقح الحضاري بين الشرق والغرب، وهذا هو المناخ الطبيعي الذي يجب أن يسود باعتبار أنَّ طلب الاستقرار في السُّكنى والتَّرف في العيش أمرٌ مطلوب وغايةٌ إنسانية منذ الأزل، وبالاحتكاك الثقافي بين الشرق والغرب أضحى التعايش السلمي والمشاركة الاقتصادية ضرورة معاصرة وملازمة للتَّطور، لا تنفك الحياة الحضاريَّة عنه بأي حال.

لكن السؤال الذي يُهم النُّخب المثقَّفة والسَّاسة ورجال الفكر الإسلامي، كما يُثير فُضول شرائح واسعة في المجتمعات الشرقيَّة اليوم، هل الغرب يسعى للتقارب؟ أم أنَّ المذهب التَّصادمي مُسَيطرٌ على عقليَّة الإنسان الغربي اليوم؟

الواقع أن العرض اللاَّحق سيكون مُمهِّداً لما بعده من محاولةٍ لتصور جديد في نقض نظرية هنتغتون، لأن جمًّا غفيراً من الكُتَّاب المسلمين وغير المسلمين ممن ناقشوا هذه النظرية، تباينت آراؤهم بين مُتحفِّظ ومُعارض ومُتقبِّل للأطروحات الصِّدامية التي جاءت فيها، وأغلب النَّاقدين لها بنوا فرضياتهم على معارضة الاسنتاجات الشَّائنة التي توصَّل إليها هنتغتون وما أورده من تصورات في كتابه؛ مثَّلت نظرته لجوهر الصراع، ولم يركِّزوا على وجهة نظر العالَم الغربي المعاصر رغم أهميتها لمعرفة مدى قبول الغرب للتقارب مع المسلمين، وبما أن الْمِزاج العام في المجتمعات الغربيَّة أصدق من يحكم على هذه الفرضيَّة (صدام الحضارات)، لذا سيكون من المهم والمفيد معرفة آراء بعض السَّاسة والمفكرين ورجال الدِّين الغربيين، ولا شكَّ أن التوجهات الفكرية للنُّخب من سياسين ومُفكِّرين ستُعطِي صورةً عن التَّوجه العام للإنسان الغربي، ويمكن تقسيم آرائهم إلى قولين:

ج-1- أقوال التيار الصدامي:

لطالما اعتَبر كثيرٌ من المسلمين الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وجهاً من الوجوه المعادية للإسلام في الغرب، واعتمد هؤلاء على عدة سلوكيات اتبعها ترامب سلَّطت الضوء عليه كأحد الدَّاعمين للكراهية ضدَّ المسلمين، ومن أهم هذه الملاحظات: عدم إدانته لهجوم نيوزيلندا، حيث وصفه عدد من الكُتَّاب والصحفيين العرب ومنهم عبد الباري عطوان، رئيس تحرير "رأي اليوم" الإلكترونية اللَّندنية، الذي قال: "إن ترامب هو الْمُنظّر والأب الروحي لهذا الفكر الإقصائي الدموي الذي يوفِّر له الدَّعم والغطاء الرسمي، ليس فقط عندما منع مواطني سبع دول إسلامية من دخول الولايات المتحدة، وإنما أيضًا عندما رفض، وبكُل وقاحة، وصف مُنفّذ مجزرة نيوزيلندا بالإرهابي، وقدّم تعزية باهتة لأهالي ضحاياها"[1]، وكم كانت "4 سنوات" التي قضاها ترامب في البيت الأبيض حافلة بالمشاهد والأحداث التي تُدلّل على عداء هذا الرَّجل واستهانته بمشاعر المسلمين، ولا أدلَّ على ذلك من توقيعه مرسوماً يقضي باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ضارباً عرض الحائط بمشاعر الفلسطينيين والعرب والمسلمين بل وبكل القرارات الدوليَّة، ولا يخفى حجم التداعيات السَّيئة على المنطقة ومقدار الاحتقان الذي جلبه مثل هذا التَّصرف اللاَّمسؤول، حيث أثار احتجاجات واسعة، وطعن في شرعية رعاية أمريكا للمفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وعرقل أهدافها الاستراتيجية المعلنة في منطقة الشرق الأوسط[2]، وإذا كان رئيس أعظم دولة غربيَّة يردِّد مراراً وتكراراً على جمهوره تُرَّهات ومعلومات مغلوطة يُرسلها جُزافاً وفي مناسبات عدة بكلماتٍ محشُوَّةٍ بألوان من الكراهية ضدَّ الإسلام، مثل جُمل الكراهيَة والعنصريَّة التي يُطلقها بين الحين والآخر مُستغلاً أيَّ ظهورٍ إعلاميٍّ له يَخاطب فيه المجتمع المحلّي الأمريكي أو الدَّولي؛ بسبب أو بدون سبب، وقد بثَّت قناة (CNN) خطابات وجمل عديدة لترامب وهو يتهجَّم على الإسلام ويتَّهمه- زوراً وبهتانا- بأنه دين كراهية، ففي تعليقه وتبريره للهجمات الإرهابية على المسلمين في المسجد في انيوزيلاندا نراه يقول: " إذا كان لديك أناس يخرجون من المساجد والكراهية والموت في أعينهم!!- **"وهذا بالطبع ما راق لترامب أن يصف به الأبرياء الذين قضوا في مسجد انيوزيلاندا"**- قائلاً: "لابد من أن نقوم بشيءٍ ما" وفي مناسبةٍ أخرى قال: "أعتقد أن الإسلام يَكرهُنا!، هناك شيء، هناك يوجد كراهية هائلة!" ويقول أيضاً؛ "هذه الأصولية والإرهاب الإسلامي المتطرف، حسناً، هناك الكثير من

1- لم يرفُض ترامب إدانة مُنَفِّذ مجزرة المسجدين في نيوزيلندا؟، عبد الباري عطوان، قبل 2 سنة، على:
https://www.aleshraq.tv/wtar-detail.aspx?jimare=1670، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/2م.

2- خلفيات اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل وتداعياته، تقدير موفق، 11 ديسمبر 2017، مركز الجزيرة للدراسات، على:
https://studies.aljazeera.net/ar/article/602، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/2م.

الكراهية!"[1]، بهذه النَّظرة العُنصريَّة ضدَّ المسلمين أيَّدَ ترامب النَّظريَّة الصِّداميَّة وحاول تجسيدها على الواقع، ورغم أنَّ كثيراً من الغربيين سجَّل انزعاجه من الطريقة التي يُدير بها ترامب الحوار مع المسلمين؛ بل وحتى مع أمم أخرى غير مسلمة مثل الصِّين؛ لكنَّ تركيزه في أحيان كثيرة كان مُنصبًّا على توجيه المجتمع الأمريكي لكراهية المسلمين والتحريض ضدَّهم كلما سنحت له الفرصة، وهناك جمّ غفير لا يستهان به في المجتمع الأمريكي أيَّدوا ترامب في سياساته العنصرية، منتشين بما يقوله وما يفعله، كان أحد صور هذا التأييد؛ تصويت حوالي 70 مليون أمريكي[2]، وهو عددٌ كبيرٌ مقارنةً بمن سبقه من الرؤساء، وإن كان العدد المؤيِّد لبايدن قد بلغ 80 مليون، غير أنَّ هذه النِّسبة التي أيَّدت ترامب كانت تعبيراً عن حجم التأييد للسِّياسة العنصريَّة، وهذا اللون قد أضحى طافحاً على نوع التعامل في أوساط المجتمعات الغربيَّة؛ سواءٌ مع المسلمين أو الأقليات الأخرى.

نشرت صحيفة: الغارديان البريطانية (Theguardian) مقالاً بعنوان: " There's a social pandemic poisoning Europe: hatred of Muslims" أو "**جائحة تسمم اجتماعي تغشى أوروبا: "كراهية المسلمين"**، وركَّزت الصحيفة على الإشارة إلى ظاهرة التَّحيز ضد المسلمين التي بدت تجتاح أوروبا، وهي في تزايد مستمر لدرجة أن الصحيفة وصفتها بالقول: "التَّحيز ضد المسلمين موجود في كل ركن من أركان أوروبا"[3]، وهذه الالتفاتة من الصحيفة تَدقُّ ناقوس الخطر بالقول؛ بأنَّه ثمَّت خطبٌ ما يحصل على الصعيد الاجتماعي والثقافي في أوروبا بتوالد أنواع من الصِّدامات الكراهيَّة في المجتمعات الأوروبيَّة لم تكن موجودة من قبل، بالأخص ضد المسلمين، وقد ضربت الصحيفة مثالاً بدولتين أوروبيتين هما:

- ألمانيا وعدد المسلمين فيها حوالي 4.7 مليون، أي بنسبة 5.7 % من عدد السكان.
- بولندا وعدد المسلمين فيها حوالي 20 ألف، أي بنسبة 0.05 % من عدد السكان.

1- منفذ هجوم نيوزيلندا يمتدح ترامب، Mar 17, 2019، على: https://www.youtube.com/watch?v=FfGEMsE9YtM، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/2م.

2- What to make of more than 70m Americans who voted for Trump ? Hamid Dabashi, 21 Nov 2020، على: https://www.aljazeera.com/opinions/2020/11/21/what-to-make-of-more-than-70m-americans-who-voted-for-trump، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/4م.

3- ينظر: There's a social pandemic poisoning Europe: hatred of Muslims, Theguardian, Mon 28 Sep 2020, على: https://www.theguardian.com/commentisfree/2020/sep/28/europe-social-pandemic-hatred-muslims-blm، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/4

IJSR, VSRP Publishing, UK ISSN: 2755-3418 (Online)
Website: https://ijsr.vsrp.co.uk

ورغم هذا الفارق الكبير بين الدولتين في أعداد المسلمين، فألمانيا تزيد نسبة المسلمين فيها بـ 200 ضعف عن بولندا، ومع ذلك، فإن نفس النسبة متقاربة بين الألمان والبولنديين فيمن يفكرون بشكل سلبي بشأن المسلمين[1].

والواقع يشهد بأن أعداد اليمين المتطرف صارت تتزايد عمَّا كانت عليه في الغرب أيّام الحرب الباردة، وبات واضحاً أنَّ بعض الشَّخصيات المتطرِّفة صارت تحظى بتأييد أكثر مما كانت عليه في السَّابق، فهذه مارين لوبان[•]، التي تُوصف بالعنصرية والكراهية ضدَّ الأجانب، وكانت قد وعدت الجمهور الفرنسي بأنها ستقوم بتجميد جميع مشاريع بناء المساجد في فرنسا- إذا وصلت لسدة الحكم- بحجَّة التَّحقق من مصادر تمويلها، وأنَّها ستوسِّع قانون منع ارتداء الرموز الدينية في المدارس ليشمل الأماكن العامة، ومنها تجريم ارتداء الحجاب وليس النقاب أو البرقع فحسب[2]، وهذا الموقف يكشف بجلاء أنَّ عقليَّةً صداميَّةً تُحرِّك شخصيات سياسيَّة، وكأنها تعاني من عُقدة اسمها "الإسلام" فلم نر هذا يحدث مع اليهوديَّة أو أيَّ دين آخر من الأديان الوضعيَّة، وهي ذات الأفكار التي أثارها "هنتنغتون" في فرضيَّة، صدام الثقافات أو صدام الأديان وفي كلِّ مرَّةٍ يشير إلى الإسلام، فإذا كان هذا الشُّعور مستحكماً في العقل الباطن الغربي، فلا نعجب إذاً من تنامي الحملة التصادميَّة، فلوبان هُزِمت في انتخابات 2017 في فرنسا أمام إيمانويل ماكرون الذي فاز بنسبة 65.9% مقابل 34.1% لمارين لوبان[3]، وإن كان هناك فارق واضحٌ بين المرشَّحين بما يقارب من نصف عدد المصوِّتين، لكن نسبة التصويت لليمين المتطرف ليست بالقليلة، صوَّت خلالها ملايين من المجتمع الفرنسي لصالح اليمين المتطرِّف في فرنسا، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ هذا يُقلِقُ أيَّ مراقبٍ للتوجُّهات الأوروبيَّة واحتمال فوز التيَّارات المتطرِّفة- في المستقبل وارد بقوة- وهي التي تحمل كراهية متعمَّدة ضدَّ الإسلام، وتسعى إلى تقييد حريَّة المسلمين في البلدان الغربيَّة.

1- المرجع السابق، Theguardian, 2020 - 9 - 28.

•- ابنة: (جان ماري لوبان Jean-Marie Le Pen) زعيم الحزب اليميني المتطرف "الجبهة الوطنية" في فرنسا، ولدت في: 5 أغسطس 1968انضمت عام 1986 إلى حزب أبيها خاضت ضده صراعا حول زعامة الحزب، وأصبحت منذ 2016 مرشحة عن حزبها واليمين المتطرف للانتخابات الرئاسية 2017م، ينظر: مارين لوبان، الموسوعة الحرة ويكيبيديا، على:
https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ زيارة الموقع:2021/1/5م.

2- مارين لوبان: المرأة التي تريد "ترحيل جميع المهاجرين" من فرنسا 14 ديسمبر/كانون الأول 2015، على:
https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/12/151214_marine_lepen_profile

3- مارين لوبان تريد إعادة تسمية حزبها "القومي الفرنسي" العربي CNN، نشر الأربعاء، 14 مارس / آذار 2018، على:
https://arabic.cnn.com/world/2018/03/14/us-france-national-front، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/5م.

وليس بعيداً عن مارين لوبان في الأفكار، بل ولعلَّه يزيدُ تطرُّفاً فيما يخص التعامل مع المسلمين: الهولندي (خِيرت فيلدرز Geert Wilders) الذي عُرف بمعاداته للإسلام لدرجة أنه وُصِف بـ"الصورة المعبرة عن كراهية الإسلام واللاجئين بهولندا"، وحُوكِم بتهمة التَّحريض ضد جماعات مغاربية مقيمة في هولندا لكن المحكمة برَّأته، وعَبَّر عن فرحه بهذه التَّبرئة زاعماً أنَّ ذلك انتصار لحريَّة التعبير في هولندا[1]، وهو نفسه أعلن عن مسابقة لنشر الرُّسوم المسيئة للنبي ﷺ بحجة حرية التعبير[•]، حيث زعم فيلدرز في وقت سابق إنه قلق بشأن تآكل حرية التعبير!؛ وأن الأمر لا يتعلق بالاستفزاز، وقد أفادت صحيفة Telegraaf الهولندية أن الجائزة الرئيسية هي 5000 يورو، وتَجدرُ الإشارة إلى أنَّ "خِيرت فيلدرز"- الذي ليس له من اسمه الأول بالحرف العربي نصيب- له تصريحات سابقة؛ طالب فيها بحظر "القرآن الكريم" في هولندا، كما وصف الإسلام بأنه دين شمولي[2]، وهذه التَّصريحات تصبُّ في مصلحة اليمين المتطرف الذي يتبنى الأفكار الصِّدامية ويستدعيها في كل حال إذا تعلَّق الأمر بالإسلام، وهذا المذهب قد نمى في الغرب وصار لها أتباع، ومازالوا يحاولون بكل الوسائل للاستحواذ على سُدَّة الحكم في بلدان مهمة مثل فرنسا وألمانيا وهولندا وكما حدث في أمريكا في 4 سنوات من حكم اترامب، الذي تبنى قرارات معادية للإسلام وحاول فرض أمرٍ واقعٍ في الأراضي المحتلة، وبوجهة نظرٍ منحازةٍ للصَّهاينة، ولا تُعطي أدنى الحقوق لملايين الفلسطينيين الذين هُجِّروا وشُرِّدوا من ديارهم لا في المواطنة ولا في تقرير المصير، فإذا سادت هذه الدَّعاوى العنصريَّة في الغرب، فإن نظرية "هنتنغتون" لصدام الحضارات ستُستدعَى بكل تفاصيلها، وهذا يُقوِّض- بكلِّ تأكيد- الجهود الحثيثة لإشاعة الحوار ومدِّ الجسور مع الآخر، وهذه الدَّعاوى التقاربية ستصطدم بالمتطرفين في كلا الجانبين: "الإسلام & الغرب" وسيستغلون الفرصة للقول بأن دعاوى التقارب مستحيلة ولا مجال للحوار الثقافي والحضاري، وهذا- بكل تأكيد- سيئد

1- غيرت فيلدرز:" تبرئتي انتصار، زعيم اليمين المتطرف الهولندي غيرت فيلدرز، عبر عن فرحته بتبرئته من تهم التحريض على الكراهية والتمييز العنصري ضد المسلمين، https://www.youtube.com/watch?v=eGCNqnIuE34، تاريخ الزيارة: 2021/1/6م.

•- كما يزعم كل من يتطاول على الإسلام ويهين المسلمين من المسؤولين والسَّاسة ورجال الإعلام في الغرب، "أن إهانة المسلمين والاستخفاف بمقدساتهم والتحريض على كراهيتهم من حريَّة التعبير" بينما يُحجِم ويُحجِّم حريَّة التعبير هذه إذا كان الأمر يتعلق بالمحرقة اليهودية، أو حتى إهانة مسؤول غربي أو عربي تربطهم به مصالح اقتصادية، لأن حرية التَّعبير مزاجية وفق الموضوعية الغربية، فهذه الحرية مقدسة عندهم إذا تعلق الأمر بالرسوم المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، لكن نفس حرية التعبير إذا كانت لمقاطعة الاحتلال الإسرائيلي فهي دعوة عنصرية ومحاربة للسامية، قد حيرنا الغرب حقًّا في تقديراته لحرية التعبير، لأن نفس المتشدق بحرية التعبير "خيرت فولدوز" أعلن عن مسابقة للرسوم المسيئة للنبي محمد عليه السلام، بينما يعارضون بشدة أي تشكيك بمحرقة اليهود.

2- ينظر: Counter-terrorism gives green light to Wilders' Mohammad cartoon contest, June - 13 - 2018, West Media, على: https://freewestmedia.com/2018/06/13/counter-terrorism-gives-green-light-to-wilders-mohammad-cartoon-contest/، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/5م.

جهود السلام في مهدها، وسيؤسس أيضاً؛ إلى خط تكارهي عدائي لا يؤمن بالتَّنوع ولا يقبل بالمشاركة والتعايش السلمي.

ج-2- أقوال التصالحيين:

تفاعل عددٌ من الشخصيات الغربيَّة مع التُّراث الإسلامي، واعتبروا الدَّعوة القرآنية إحدى أهم دعوات التَّسامح والتَّوجيه التَّربوي للبشريَّة، ومن أهمِّ هذه الشخصيات الرئيس باراك أوباما (•) وهو أحد الرؤساء الديمقراطيين للولايات المتحدة الأمريكية، وأول رئيس ينحدرُ من أصولٍ أفريقيَّة إسلامية، وقد أدار فترة رئاسته بنبرة تصالحية مع المسلمين بدأت من الأيام الأولى لرئاسته، فقد اتجه إلى مصر ليلقي خطابه الشَّهير الموجه للعالم الإسلامي من العاصمة "القاهرة" تحت عنوان: (President Barack Obama's speech to the Muslim world) أو (خطاب الرئيس أوباما الموجه للعالم الإسلامي)، الذي قدَّم من خلاله رسالةً للعالم الإسلامي، وُصِفت بأنها أكثر عقلانيَّة وتصالحاً من سلفه بوش مُطلِق "الحملة الصليبية الجديدة"، وقد اختار أوباما كلماته بعناية، حتى أنه استخدم بعض المعاني المقتبسة من القرآن الكريم في أجزاء من خطابه قائلاً: "يجب أن تكون هناك جهود متواصلة ليستمع بعضنا إلى بعض، ولنتعلم أن يحترم بعضنا بعضاً، ونبحث عن أرضية مشتركة، - قائلاً- وكما يخبرنا القرآن الكريم- واستشهد بمعنى قوله ﷻ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب/ 70]"[1]، وعلى عكس ما كان يقوم به سلفه "جورج بوش" من تكرار الحرب على الإرهاب في خطابات الحرب والسِّلم، فقد قال أوباما عمَّن كانوا يُوصفون بالإرهابيين في الإدارة السَّابقة: "إنهم مُتطرفون يمارسون العنف، وإن أفعالهم هذه لا يمكن التوفيق بينها وبين حقوق الإنسان؛ وتَقدُّم الأمم والإسلام، والقرآن الكريم يُعلمنا- واستشهد بمعنى قوله ﷻ: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[المائدة/32] [2]، ثم يضيف أوباما قائلاً: "إن الإيمان الرَّاسخ لأكثر من مليار شخص أكبر بكثير من

•- (باراك حسين أوباما Barack Hussein Obama) من مواليد 4 أغسطس 1961، هو الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية من 20 يناير 2009 وحتى 20 يناير 2017، وأول رئيس من أصول أفريقية يصل للبيت الأبيض، حقق انتصاراً ساحقاً على خصمه جون ماكين وذلك بفوزه في بعض معاقل الجمهوريين مثل أوهايو وفيرجينيا في 4 نوفمبر 2008، حصل على جائزة نوبل للسلام لعام 2009 نظير جهوده في تقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب، وذلك قبل إكماله سنة في السلطة، ينظر: باراك أوباما https://ar.wikipedia.org/wiki، تراخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

1- ينظر: Text: Obama's Speech in Cairo, June 4, 2009 , على:
https://www.nytimes.com/2009/06/04/us/politics/04obama.text.html

2- ينظر: المرجع السابق: Text: Obama's Speech in Cairo, June 4, 2009، وينظر: خطاب أوباما والاستشهادات بمعان قرانية، قناة الجزيرة، تقرير محمد رشاد نور، تاريخ بث التقرير: 5\6\2009، على:
https://www.youtube.com/watch?v=-zVCnn-70mA، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1،

IJSR, VSRP Publishing, UK
Website: https://ijsr.vsrp.co.uk
ISSN: 2755-3418 (Online)

الكراهية الضَّيقة من قله قليلة لا تمثل الإسلام، والإسلام ليس جزءًا من مشكلة التَّطرف العنيف، بل هو جزء مهم من تعزيز السَّلام"[1]، إن كلمات أوباما هذه وإن لم تَرْقَ إلى طموحات المواطنين العرب والمسلمين من حيث تطبيقها على أرض الواقع، فقد تكلَّم عن حل القضيَّة الفلسطينية بإقامة سلام يضمن حلّ الدَّولتين على أساس المبادرة العربية، وهذا لم يتحقق، وترك أوباما البيت الأبيض ومشاعر التَّفرقة العنصريَّة والكراهية ضد المسلمين- وخاصَّة في عهد خلفه دونالد ترامب- قد ازدادت، وترك أوباما البيت الأبيض والحرب على اليمن التي بدأت في 25 مارس 2015م، مازالت مستعرة، وأزمة سوريا والحرب في ليبيا، ورغم كل ذلك فقد فتحت باباً من الحوار وشكَّلت أيادي مفتوحة للصداقة بين الغرب والإسلام، وهي نفس الرسائل التي أطلقها الرئيس الجديد- خلف ترامب ونائب أوباما السَّابق- بايدن في حملته الانتخابية قائلاً: "سوف أكون الرئيس الذي يسعى إلى استماع واستيعاب أفكار ومخاوف المسلمين الأمريكيين، بالنسبة للقضايا اليومية التي تهم أغلب مجتمعنا، ولن أكتب أي خطابات عاطفية للدكتاتوريين، ولن أفشل في الحديث بصوت عال عن حقوق الإنسان، بما في ذلك الاستهداف العنيف والملاحقة لأقليات مسلمة حول العالم، وسأسعى لتحقيق المطالب الإنسانية في بلدان مثل سوريا واليمن وغزّا،- مستشهداً بحديث للنبي ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[2] [3]، ولم يكن هذا الخطاب التَّصالحي مع المسلمين بِدعاً في السِّياسة الأمريكية فقد أشرنا من قبل إلى نمطٍ حِواريٍّ تقاربيٍّ مع الأقليات في المجتمع الأمريكي "وعلى رأسهم المحمَّديين" كما وصفهم الرئيس المؤسِّس جورج واشنطن ومن جاء بعده من أمثال توماس جيفرسون، فقد عُرِفَ اللَّون الاستيعابي التصالحيَّ مع الأقلية الْمُسلمة في الولايات المتحدة منذ نشأتها، وعلى الطَّرف الآخر في أوروبا تبرز صُور من التَّفاعل الإيجابي لبعض السَّاسة ورجال الدين الأُوروبيين في تعاملهم مع المسلمين، حيث قاد أنجيلو جوسيبي رونكالي(•)، في عام 1958م ثورةً تصحيحيَّة في المفاهيم الكنيسيَّة للفاتيكان رسمت طريقاً للتَّغيير والانفتاح على الأديان الأُخرى وخاصَّةً الإسلام، ويُقال إنَّ أنجيلو وهو: "يوحنا الثالث والعشرين" أو البابا الطيب- كما كان البعض يُلقِّبه- كان قد دعا في عام 1962م إلى عقد مجمع للأساقفة حضره 2450 أسقفاً من مختلف أنحاء العالم، تحت شعار: "**الحياة**

1-ينظر: Text: Obama's Speech in Cairo, June 4, 2009، مرجع سابق.

2- سبق تخريجه، صحيح مسلم، /49.

3- ينظر: جو بايدن يغازل المسلمين ويستشهد بحديث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، Jul 21, 2020، على: https://www.youtube.com/watch?v=MFc9Ms_w4-U، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1.

•- يوحنا الثالث والعشرون (باللاتينية: Ioannes XXIII) هو بابا الكنيسة الكاثوليكية رقم (261) وتولى كرسي البابوية في الفاتيكان سنة 28 أكتوبر 1958 إلى أن توفي في 3 يونيو 1963م، في أقصر مدة بابويّة خلال القرن العشرين بعد يوحنا بولس الأول، ولد باسم أنجيلو جيوسيبي رونكالي عام 1881 في إيطاليا وانخرط في سلك الكهنوت باكرًا وأصبح أسقفًا ثم زائرًا رسوليًا فبطريركًا للبندقية عام 1953. خلف البابا بيوس الثاني عشر في رئاسة الكنيسة الكاثوليكية عام 1958، وكتب خلال حبريته عدد كبير من الرسائل والدساتير العامّة وعمل إلى تغيير وانفتاح الكنيسة الكاثوليكية على العالم، غير أنه لم يعش ليرى ختام أعمال المجمع الذي دعا إليه بل توفي بعد ختام الدورة الأولى منه مباشرة، ينظر: يوحنا الثالث والعشرون من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على: https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

الكهنوتية والعلاقات الاجتماعية: الكنيسة والعالم المعاصر"، وحَظِي هذا المجمع بأهمية كبيرة حتَّى صُنِّف كواحد من أهم المجامع للفاتيكان، واستمرَّ من 11 / أكتوبر 1962م حتى 8 / ديسمبر 1965م، أي إلى عهد البابا بولس السادس الذي انتُخِب خلفاً لأنجيلو، وقيل بأن أهميَّة هذا المجمع تعود إلى طبيعة القرارات الدينية التي اتخذها بشأن تحديد علاقات الفاتيكان بالكنائس المسيحية غير الكاثوليكية، الأرثوذكسية والانجيلية، وعلاقته بالأديان الأخرى: "اليهودية والإسلام"، حيث أصدر المجمع ولأول مرة قراراً يقضي باحترام المسلمين مذكِّراً المسيحيين بأن حقيقة الاعتقاد الإسلامي هي التَّوحيد؛ وأنَّهم يحترمون المسيح وأمَّه ويؤمنون به كأحد أعظم رسل الله، كما يؤمنون بعذرية السيدة مريم وباليوم الآخر وبالحساب والعقاب، ثم قام الفاتيكان بعدة خُطوات مهمَّة ضَبطَت سُلوك المسيحيين الكاثوليك في التَّعامل مع المسلمين، كإصداره وثيقة في عام 1965م عُرِفت بـ(وثيقة عصرنا أو نوسترا ايتاتي) ومن بنودها: "إن الخلافات مع المسلمين تُشكِّل خطيئة للإيمان بالإله الواحد، الذي خلق الناس جميعاً ودعاهم للخلاص والسَّعادة"[1]، كما ظهر خطٌّ تصالحيٌّ آخر على يد البابا يوحنا بولس الثاني [•]، الذي عبَّر عن مواقف عقلانيَّة مع المسلمين من أهمها مُعارضته القويَّة للحرب على العراق، وَوصَفَها بأنها **"هزيمة للبشرية"** مُبدِياً خشيته من تطورها إلى صراع ديني وثقافي، كما أُثِرت عنه مواقف كان يحث فيها زعماء العالم على محاولة حل النزاعات مع العراق من خلال الوسائل الدبلوماسية[2]، وهذه الجهود التَّقاربيَّة مازالت مستمرة كما أكَّد رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان؛ الكاردينال جون لويس توران- في لقاءٍ مع قناة الجزيرة- بأنَّ الحوار مستمر بين المؤمنين من مختلف الأديان، لكن الحوار مع المسلمين في الوقت الراهن هو الأكثر صلابة وتنظيماً من خلال مشاركة العديد من المنظمات والمؤسسات الإسلامية، وأخبر بأنه خرج بانطباع جيد بعد زياراته لكل من: مصر، وإندونيسيا، وإيران وباكستان وغيرها من الدول،... وأكَّد أنه يحترم الاختلافات المشروعة ولا سيما تلك

---

[1]- الحرية الدينية في الحوار المدني – الديني في لبنان، سلسلة الأديان والشأن العام، إشراف: زياد الصائغ، (الحرية الدينية والعلاقات الإسلامية المسيحية بمحمد السماك)، معهد المواطنة وإدارة التنوع: الدار الفارابي، بيروت، ط1، 2017م، ص142.

•- يوحنا بولس الثاني (باللاتينية: Ioannes Paulus PP. II) هو بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المائتين منذ 16 أكتوبر 1978 وحتى وفاته في 2 أبريل 2005 في حبرية طويلة دامت ستًا وعشرين عامًا. ولد في 18 مايو 1920 باسم كارول جوزيف فوتيلا في بولندا (بالبولندية: كارول جوزيف فويتيالا عن هذا الملف Pl-Karol_Józef_Wojtyła.ogg (؟·معلومات)) وانخرط في سلك الكهنوت عام 1946 وأصبح أسقفًا عام 1958 ثم كاردينالاً عام 1967 وأخيرًا حبرًا أعظم للكنيسة الكاثوليكية خلفًا للبابا يوحنا بولس الأول؛ وعند انتخابه كان البابا غير الإيطالي الأول منذ عهد إدريان السادس (1522 – 1523) كما كان البابا البولندي الأول في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية، ينظر: يوحنا بولس الثاني من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

2- THREATS AND RESPONSES: THE VATICAN THREATS AND RESPONSES: THE VATICAN; Pope Voices Opposition, His Strongest, To Iraq War, Frank Bruni, 2003-6-14، على: https://www.nytimes.com/2003/01/14/world/threats-responses-vatican-pope-voices-opposition-his-strongest-iraq-war.html، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

المتعلقة باللاهوتية[1]، ومن الفاتيكان إلى ألمانيا التي اتَّسم تعامل مستشارتها أنجيلا ميركيل بالتَّعاطف مع قضايا المسلمين وحقِّهم في التَّعريف بدينهم واحترام معتقداتهم وعاداتهم، وأنَّهم جزءٌ لا يتجزأ من ألمانيا الجديدة، ومدَّت يدها للمسلمين الذين يعيشون في ألمانيا اليوم، قائلةً: "لا شك في أن بلادنا تشكَّلت تاريخيًا على أيدي المسيحيَّة واليهودية، ولكن الأمر كذلك مع وجود 4.5 مليون مسلم يعيشون معنا، فإن دينهم "الإسلام" أصبح أيضًا جزءًا من ألمانيا"[2]، وهذا التَّعبير في غاية الوضوح من هذه السيدة المسيحيَّة الحكيمة التي قدَّرت القيمة التاريخيَّة للمسلمين ولم تُصدِّق الأخبار الكاذبة التي يروجها البعض عن التخويف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، وهي تقول في مظاهرة أُقيمت في برلين لمواجهة العنصريَّة ضد الإسلام: "ما يتعين علينا فِعله الآن هو استخدام كل الوسائل الْمُتاحة لنا لمكافحة التعصب والعنف، ونقول لا؛ لاستبعاد مجموعات من الناس بسبب عقيدتهم، فهذا لا يليق بالدولة الحرة التي نعيش فيها، ولا يتوافق مع قيمنا الأساسية، وهذا أمر مستهجن إنسانيًا، ولا مكان هنا لكراهية الأجانب والعُنصرية والتَّطرف"[3]، ومن ألمانيا إلى كندا التي عُرف رئيس وزرائها جاستن ترودو باعتداله بل وصداقته الحميمة للمسلمين وهو في كثير من المناسبات يُعبر عن اعتزاز بلاده في الحفاظ على قيم التَّنوع واحترام المسلمين ومعتقاداتهم وحماية حقوقهم في العبادة، ومن أبرز المواقف التي سُجِّلت لجاستن ترودو بمداد من العدل والإنصاف والوقوف مع قضايا المسلمين الوجيهة؛ إدانته للجريمة البشعة في هجوم نيوزيلندا الإرهابي أثناء أداء المسلمين لصلاة الجمعة في أحد المساجد في جنوب البلاد قائلاً: "إن هؤلاء المسلمين الأبرياء قُتِلوا على يد كاره قرر تبني أيدلوجيَّة كراهيَّة، وأقول لأصدقائنا المسلمين في كندا وانيوزيلاندا وحول العالم، اعلموا أننا نشعر بالحُزن معكم، نشعر بألمكم ونحبكم وسنقف إلى جانبكم في الأيام والأسابيع الصَّعبة القادمة، - ثم إن جاستن ترودو قال: كما يخبرنا القرآن الكريم- واستشهد بمعنى آية من كتاب الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان/63]، - ثم قال- وإذا كانت هذه الفكرة مألوفة فلربما سمعتموها في إنجيل متى "لا تقاوِمُوا الشَّرَّ، بَل مَن لَطَمكَ عَلَى خَدِّك الأَيْمن فَحَوِّل لَهُ الآخَرَ أَيْضًا"[4]- ثم ختم حديثه بالقول-

1- الفاتيكان: الحوار مع المسلمين مستمر، غادة دعيبس، روما، على: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/1/25، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

2- ينظر: Angela Merkel stresses migrants, Islam in first Bundestag address of new government, 21.03.2018, على: https://www.dw.com/en/angela-merkel-stresses-migrants-islam-in-first-bundestag-address-of-new-government/a-43065114، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

3- Merkel: Germany Will Use 'All Means' to Fight Intolerance January 13, 2015 05:53 PM, على: https://www.voanews.com/europe/merkel-germany-will-use-all-means-fight-intolerance، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

4- الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، 39/5.

: "إن الدروس الموجودة في دياناتنا ستربط بعضنا ببعض، ونكون أقوى من تلك الأشياء التي تقسمنا"[1]، وهناك مواقف عديدة سُجِّلت لهذا الوجه الشَّبابي الذي يُعبِّر عن حالة جديدة بدأت تنتعش بين أوساط الْمُتعلمين في الغرب الذين يقومون بتحدِّي الدعوات الظلاميَّة التي تُقوِّض الاستقرار، كما يشجعون الدعوة إلى الحوار والتلاقح الحضاري، ورغم الدِّعايات المضلِّلة والحاقدة التي لا تستند إلى دليل ويتزايد صداها يوماً بعد يومٍ في الآونة الأخيرة لتشويه الإسلام؛ تبرز إحدى أهم الكتابات المعاصرة للمفكر الأمريكي: (جوان كول Juan Cole) بعنوان: " Muhammad: Prophet of Peace Amid the Clash of Empires" أو **محمد: نبي السَّلام وسط صدام الإمبراطوريات**، ومما ذكره في هذا الكتاب عن الدعوة المحمدية أنها كانت "حركة راسخة في السَّلام، وأنَّ الدين الذي أسسه محمد "الإسلام" انتشر على نطاق واسع خلال حياته، معتمداً على القوة النَّاعمة بدلاً من القوة العسكرية، وسعى للحصول على هدنة حتى عند الهجوم العسكري، كما ذكَّر كول بأن إرث تلك الرسالة الروحية باق في القرآن"[2].

ومن هنا فإن التَّقارب بين المسلمين والغرب صار أمراً واقعاً لا مجال لإنكاره، وإن دعوات الكراهية المنظَّمة ضد الإسلام تُعبِّر عن خطٍّ معروفٍ لدى اليمين المتطرِّف ومن تابعهم في هذه السياسة المعادية للإسلام، كما أنَّ الصَّوت التَّصادمي ودعوات الكراهية لم تعد تَلقَ صداها المعهود، وأن تيارات عريضة في الغرب تُعارض السياسة العنصريَّة ضدَّ المسلمين، ولا أدل على ذلك من المصير المشؤوم والطريقة المهينة التي انتهى بها تاريخ اترامب السياسي، لدرجة أنَّ سياسيين غربيين في حزب اترامب "الحزب الجمهوري" ضاقوا ذرعاً بتصرفاته الغوغائية العارية عن الموضوعيَّة الفاقدة للحكمة، وما هذا إلاَّ دليلٌ واضحٌ على أن البقاء للصَّوت العقلاني، وأن توجُّه التقارب والتحاور مع المسلمين على أساس الاحترام المتبادل؛ هو التَّوجه المقبول والمنتظر في العقود القادمة من هذا القرن.

د- نقض نظرية هنتنجتون في صراع الحضارات:

مهَّد العرض السَّابق الطريق لبيان العيوب التي تضمنتها نظرية "هنتنغتون لصدام الحضارات"، وعرفنا من الْمَرويات والنُّقول السَّابقة عن عددٍ من الشخصيات الْمُهمَّة في الغرب أن هذا الطرح الصدامي جداليٌّ بامتياز، وأنَّ الكفَّة الرَّاجحة هي للخطاب العِلمي العقلاني الذي يقوم على تقديس العيش الإنساني الْمُشترك التكاملي، فالغرب متعطش لملئ الفراغ الروحي الذي وجده الكثير من أبناءه في الإسلام، كما أن المسلمين في هذا العصر بحاجة إلى التعاون الغربي في المجال التقني والتكنولوجي.

---

[1]- رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو يستشهد بآية من القرآن الكريم في خطاب له، على:
https://www.youtube.com/watch?v=_yZqz4ZBp7E، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/1م.

[2]- Muhammad: Prophet of Peace amid the Clash of Empires, Juan Cole, University of Michigan, 2020, على:
https://www.queensu.ca/religion/muhammad-prophet-peace-amid-clash-empires، تاريخ زيارة الموقع: 2020/1/1م.

IJSR, VSRP Publishing, UK ISSN: 2755-3418 (Online)
Website: https://ijsr.vsrp.co.uk

شواهد دامغة على نقض الطرح الصوميبلي:

إن الشواهد السَّابقة تُغني عن كثيرٍ من العرض النَّظري الذي أشبعه علماء كُثر تعرضوا لنقد فرضيات صمويل التصادمية، والأهم في السِّياقات الحضارية من وجهة نظر الناقد المسلم؛ القول: بأن المخالفات الصَّارخة التي أوردها "هنتنغتون" في كتابه صدام الحضارات تتعارض مع صريح المنهج الذي جاء به القرآن الكريم ويحثنا على التآخي الإنساني، وأن فكرة الصِّدام بين بني آدم مرفوضة بنصوص الكتاب والسنة، وإنَّ أيَّ نظرية اجتماعية أو سياسيَّة تحكم على المستقبل بأحداث تاريخية وتَستخلص العبر من الماضي لتَبنيَ عليه فرضيات كأنها مسلمات قطعيَّةً لا مناص منها في الزمن الآتي- بلا دليلٍ قطعيٍّ مُجرَّب، يُعدُّ أمراً مجافياً للحقيقة، ومن جهةٍ أقوى في الدلالة على ذلك فهو مناقض للمسلمات بأن عالم الغيب لا يعلمه إلاَّ الله ﷻ، حيث قال: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام/59]، وكقوله ﷻ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف/32]، فما كان من أحداث مستقبليَّة لا يعلمها إلاَّ الله، وللبشر أن يتوقَّعوا حدوث شيءٍ ويستدلُّوا عليه ببعض الظواهر، ولكن أن يحدُث حقًّا كما خمَّنوا أم لا؛ فهذا لا يعلمه على الحقيقة إلاَّ الله ﷻ، ومن المهم معرفة أن الثغرات والمثالب التي في نظرية هنتغتون من منظور إسلامي، تنسفها من أساسها، ومن هذه الثَّغرات:

1- عنوان النظرية صدام الحضارات لا يستقيم والروح التي تدعو إليها الدعوة الاسلامية فهي دعوة حوار لا دعوة صدام ومن الأدلة على ذلك قوله ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف/158]، فقد جاءت الرسالة المحمَّدية إلى الناس كافَّة، ولذلك أكَّد الله ﷻ على حقيقة أن النَّاس جميعاً ينتسبون إلى أب واحد وأم واحدة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات/13]، والقرآن الكريم يُقدِّم لنا أنماطاً من التفاعل الحضاري عُرفت في العُرف الإسلامي بمبدأ التدافع الحضاري وليست الصِّدام الحضاري، لذلك يدعونا إلى التعاون وليس الشقاق، ومسألة التَّدافع الموجودة في كتاب الله ﷻ إنما هي للحفاظ على النَّوع الإنساني ووقاية العالم من الخراب والدَّمار الذي تسعى إليه الأنفس الخبيثة التي تمتلك القوَّة وتحاول السطو والهيمنة بكل الوسائل حتى لو أدَّى ذلك إلى خراب الممتلكات وانهيار العمران، والاختلاف بيننا وبين الغرب في حقيقته ناشئٌ عن انحراف الغرب عن وصايا الله ﷻ، ولم يأتِ نصٌّ في القرآن الكريم يُوهم بما يشبه الصِّراع بين الناس، سوى ما أتى في سورة الحج وهي قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج/40]،

وهذه الآية عند وضعها في سياقها يتبيَّن منها حتميَّة التَّقارب الحضاري، وليس الصدام، لأنَّ الْمُدافعة ليست بمعى الصدام والصِّراع، بل هي من قبيل الاتحاد والانطلاق ضد آفةٍ ما، قال ابن شميل:

مَدفعُ الوادي حيثُ يدفعُ السيلُ ** وهو أسفلهُ حيث يتفرق ماؤهُ[1]

فالماء المتفرّق ليس بدفَّاع بل مشتتٌ لا يصلح لدفع الضُّر والبأس، ثم إن المدافعة في الآية كانت لحفظ ماذا ؟ كانت لحفظ الصَّوامع، والصَّوامع هي ما يقابل الآن الدَّير للنصارى وكانوا يتعبدون لله فيها، و"بِيعٌ" لعامة المتدينين، و"صَلواتٌ" من صالوت، وهي مكان العبادة لليهود، و"مَسَاجِدُ" وهي مساجد المسلمين، وفي آية أخرى يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة/251]، أي إذا لم تقم الصَّوامع والبيع والصَّلوات والمساجد، وهي التي تربط المخلوق بالخالق، فالأديرة والكنائس والصوامع حين كانت، والمساجد الآن هي حارسة القيم في الوجود[2]، وبهدمها ستفسد الأرض، فلم يفرّق الحق تبارك وتعالى بين حفظ المساجد والصوامع والصلوات، فكلها أماكن يعبد الله ﷻ فيها؛ وبهدمها ستفسد الأرض، فتبيَّن حرص الإسلام على هذه الحضارات وإقامة العدل بين النَّاس، وليس هناك تفرقة حتي بين الأنبياء، فكلهم إخوة على دين واحد .

2- إننا نختلف معه في الأصل الذي بنى عليه "فرضيَّته"، فهو يقول صدام الحضارات بينما هو يتكلم عن الثقافات، والثقافات ليست هي الحضارات بل هي جزءٌ منها، ويعبَّر عن الحضارة بالثقافة أو بالعكس من قبيل التعبير بالكل عن الجزء أو الجزء عن الكل، لكنَّ المفكِّرين الإسلاميين فرَّقوا بينهما، فالحضارة لا تُعبِّر عن الثقافة بالمعنى الخاص، ولا الثقافة كذلك، فالثقافة تعبِّر عن الموروثات الدينية والأخلاقيَّة والقيميَّة لكل مجتمع، وهذه يمكن أن يحصل فيها تدافع وليس صدام، فكم من ثقافة حلَّت محلَّ الأخرى، فالثقافة الضعيفة تتلاشى لتحل محلها الثقافة القويَّة، والثقافة المهزوزة تنتهي لتُخلِي المكان للثقافة الراسخة الرصينة؛ وهكذا، وهذا التَّمدد الثقافي كان ولا يزال سُنَّةً ماضيةً منذ بدئ الخليقة، ولم يُوصَف بأنَّه "صدام الحضارات" على الطرح الذي عرضه "هنتنغتون".

3- كم من الفرضيات التي اعتقدها الناس وظنوا أنها مسلمات، ثم تبيَّن بعد مدة أنها غير صحيحة، مثل نظرية "الصفحة البيضاء" التي تبناها علماء الاجتماع في القرن العشرين، وتنص هذه النظرية على أن الإنسان يُولد كالصفحة البيضاء دون أي مهارات عقلية متوارثة [3]، ثم نُقِضت على يد جون لوك الذي أثبت بأن هناك معارف فطرية يُجبَل عليها الإنسان كامنةٌ في عقله البشري منذ اللحظة الأولى للولادة،

1- تاج العروس من جواهر القاموس، 554/20.

2- تفسير الشعراوي، 671/1.

3- الصفحة البيضاء: الإنكار الحديث للطبيعة البشرية، ستيفن بنكر، ترجمة: محمد الجوار، دار الفرقد، (ب. ت. ط)، ص40.

وأن هذه المعارف تُؤثر في سلوكه وقد أثبت هذا عن طريق التجربة[1]، كما أن نظرية دارون "الانتقاء الطبيعي" أو النشوء والارتقاء، والتي قال بها دارون عام 1859م، في كتابه: "أصل الأنواع" قد نقضها العلم الحديث أثبت ضلال هذه النظرية وبعدها عن الصواب، ومن الباحثين الذين نقدوا هذه النظرية وبرهنوا على مجانبتها للصواب: (نيكولاس كومنينيليس Nicholas Comninellis) الذي ذهب إلى القول بأن "استنتاجات دارون بنيت على استخدام أخطاء شائعة في التفكير العلمي، كاستخدام التَّكيُّفات الشائعة في تطور الكائنات الصغيرة والاستدلال بها على تطور الكائنات الكبيرة والقول بأنها تنتقل من نوع إلى نوع آخر[2]، وهكذا في العديد من النَّظريات الإنسانيَّة المتعلقة بالطبيعة أو الكون أو السلوك الاجتماعي، قد تعرَّضت للنَّقض وتغيَّرت التَّصورات فيها إلى وجهة نظر أخرى (فرضيَّة أخرى) قد تتعارض تماماً مع الفرضيَّة الأولى.

4- إنَّ انتشار الثقافات وتنوعها، وظهور القوميات الجديدة وهي القوميات الوطنية (الانتماء للبلدان والأوطان) يجعل من تحقق هذه النظرية أمراً مستحيلاً، بالنَّظر إلى انتشار الإسلام اليوم في العديد من البلدان الغربيَّة كدين ثان، ويعد الملايين من المسلمين اليوم ضمن التركيبات الأساسية لعدد من هذه المجتمعات، ومُرشح إلى أن يكون الدين الأول بعد عقد أو عقدين في بعض الدول الغربية، وهذا يُضفي ثقلاً آخر يقول باستحالة هذه النظرية، خاصة وأن بلداناً في العالم اليوم تسير على قاعدة الانتماء (والجنسية الوطنية للدولة) في التعامل اليومي وإجراء أسباب المعيشة وبناء الأسر والحصول على الرقم القومي (ID) للأفراد والمجتمعات والدول، والذي يرُكَّز عليه- وخاصة في الغرب- أكثر من التركيز على العامل الديني أوالثَّقافي الذي يُنظِّم العلاقة الرُّوحية بين الإنسان والرَّب، وهذا طبيعي في التكوين البشري منذ القدم، وقد أشار إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي غوستان لوبون بالقول: "ولما كانت أنواع المؤثرات في الجماعة مختلفة جداً، وكانت الجماعة تخضع لها دائماً، لزم أن تكون الجماعة متقلبة كذلك، وهذا هو السبب في أنها تنتقل فجأة من أفظع الأعمال إلى أكبرها رحمة وكرماً، فما أسهل ما تصير الجماعة جلادة، ولكن ما أسهل ما تكون ضحيةً أيضاً[3]، وهذا الكلام المهم لغوستان يشير إلى ماذا؟ يشير إلى أن ثبات المجتمعات الإنسانية على سلوك ما أمرٌ مستحيل، فالإنسان بطبعه متغير، فكيف يحكم هنتنغون على المسلمين من خلال وقائع تاريخية لم تكن هذه الأجيال؛ ولن تكون أجيال المستقبل مسؤولة عنها،

1- ينظر: نظرية المعرفة عند لوك، أحمد ناظم داوود، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة كركوك، العدد: (5 - كانون الأول- 2010)، ص315.

2 - Darwin's Demise, Nicholas (Author), Md. Comninellis (Author), Joe White (Author), Master book 2001, p11.

3- روح الاجتماع، غوستاف لوبون، ص28.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﷻ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة/134].

5- يُسمِّي ابن خلدون هذه الظاهرة بالتدافع، لأنَّ طبيعة الحروب تقوم على شيئين أساسيين:

- طائفة تطلب الانتقام.
- طائفة تدافع.

وذكر أن أسباب هذا التدافع عديدة ومنها: "الغيرة، المنافسة، العدوان، الغضب لله ولدينه، الغضب للمُلك" وهذا التَّدافع طبيعيٌّ بين بني الإنسان- بحسب ابن خلدون- ولم يخل عصرٌ من هذا التَّدافع، وليس خاصًّا بأمَّةٍ دون أخرى، طلباً للمقصودات الخمس السابقة، وهو ما يسبب الحروب ويشعلها، لكنها لا تكون بدافع ثقافي كما يرى هنتنغتون متَّهماً المسلمين بأنهم جبلوا على حب الصِّراعات والانتقام، وها هو ابن خلدون يقرر خلاف ذلك فيقول: "إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة" [1].

وجعل ابن خلدون الاقتصاد وطلب القوت أهم أسباب التَّصادم بين الأمم، مُفترضاً أن النَّاس من أجل الثروات يتقاتلون وفي سبيل الحصول عليها يتصارعون، وهذا واقعٌ فالبشر منذ نشأتهم وهم يتصارعون على الكلاء والمرعى، لكن ابن خلدون ذكر الأمم التي عاصرها التي كانت تتصارع برماحها فقال: "العدوان أكثر ما يكون من الأمم الوحشيَّة السَّاكنين بالقفر كالعرب والترك والتركمان والاكراد وأشباههم لانهم جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك"[2]، فكيف لو رآى أمم اليوم التي تتصارع بأسلحةٍ فتَّاكةٍ وآلاتٍ لا تعرف إلا القتل والدَّمار، وكم تصارع بنو الإنسان بها في الحِقب الأخيرة وما زالوا يتصارعون من أجل الثروات والطَّاقة التي أُبيدت شُعوب بأكملها بسبب طمع وجَشع الأمم الْمُسَيطرة، وهل كانت الأمم المسيطرة التي تثير الحروب والنِّزاعات حول العالم- في القرن الماضي- إلاَّ الأمم الغربيَّة.

1- مقدمة ابن خلدون، 271/1.
2- المرجع السابق، 271/1.

6- كلام عدد من الفلاسفة والمفكرين الغربيين عن الإسلام واتساقه مع الحياة الإنسانية، وابتعاده عن دوائر الصدام الحضاري، ومن هؤلاء: روجيه غارودي(•)، في كتابه: **(الإسلام دين المستقبل)**: "أظهر الإسلام شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد، وكان في قبوله لأتباع هذه الديانات في داره منفتحا على ثقافاتهم وحضاراتهم"، ويقول الدكتور: "خوسيه لويس بارسلو " وهو أحد الباحثين الأسبان: "يجب أن نقرر الأهمية الحقيقية لتأثير العلوم الإسلامية، فهي من الناحية الموضوعية قد ساعدة في وجود المعايير الطبيَّة المعاصرة"[1]، وهذا كرستوفر دوسن يذهب في كتابه (تكوين أوروبا) إلى القول: بأن الحضارة الإسلامية احتفظت بمركز الصدارة منذ أوائل العصور الوسطى فصاعداً، لا في الشرق فحسب، بل كذلك في غرب أوروبا إذ نمت الحضارة الغربية في ظلال الحضارة الإسلامية التي هي أكثر منها رقياً وقتذاك؛ وكانت الحضارة الإسلامية العربية- وليس البيزنطيَّة- هي التي ساعدت العالم المسيحي في العصور الوسطى على استرداد نصيبه من التراث اليوناني العلمي والفلسفي[2]، فأيُّ دلالة على حتميَّة التقارب أكثر من هذه الشهادات الضاربة في عرض التَّاريخ، وهي أيضاً تُعزَّز بالقول: إنه لم يقل أيٌّ من المفكرين والباحثين المسلمين من قبل ولا في تاريخنا المعاصر بأنَّ المسلمين يسعون للتصادم مع الغرب، ولا حتَّى يتمنَّون ذلك، بل إن شواهد التقارب الحضاري بأبعاده العلميّة والصناعيّة والتِّجاريّة تشهد في كل وقت على مدى الالتساق واتحاد المصالح الذي يجمع أكثر مما يُفرِّق، ويضفي ألواناً من العلاقات الإنسانيَّة لم تكن معروفة من قبل، وأجواء الحريَّة والدِّيمقراطيَّة تفسح المجال للشُّعوب لتحقيق مزيدٍ من التقارب والمشاركة الثقافيَّة بين بعضها البعض، بعكس الدُّول التي تُبنَى سياساتها على القمع وتقييد الحريَّات، وكم طالبت الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة في تاريخنا المعاصر بمزيد من الحريَّة والدِّيمقراطيَّة، وتسهيل حُريَّة التَّنقل بين البلدان الإسلاميَّة، وإعطاء براح أوسع للدعاة والمصلحين ورفع

•- (روجيه جارودي أو رجاء جارودي Roger Garaudy)؛ في 2 يوليو 1982 أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف، وكتب بالمناسبة كتابيه "وعود الإسلام" و"الإسلام يسكن مستقبلنا"، وقال إن دخوله في الإسلام لم يكن صدفة بل كان تتويجاً لرحلة طويلة للبحث عن الحق، انتقل بعدها للضفة الأخرى وأعلن إسلامه في 2 يوليو/تموز 1982م صار واحدا من دعاة حوار الأديان السماوية ووحدتها، مع إيمانه بأن الإسلام هو دين المستقبل، وقال إن دخوله في الإسلام لم يكن صدفة بل كان تتويجاً لرحلة طويلة للبحث عن الحق، ولد في 17 يوليو 1913 وتوفي في 13 يونيو 2012م، ينظر: مقدمة كتاب: في سبيل حوار الحضارات، روجيه غارودي، ترجمة: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط4، 1999م، ص: (5-7)، وينظر: روجيه غارودي، الشبكة الدولية ويكيبيديا، على:
https://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/6م.

1- المرجع السابق، ص64.

2-ينظر: بنات الأفكار في آداب المناقشة والحوار، مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب. ت. ط)، ص200.

القيودات والملاحقات الأمنيَّة عنهم، لأنَّ سياسة القمع لا تبني حواراً بنَّاءً ومُثمراً بين الشُّعوب، لكن المناخ الديمقراطي له كثير من الفوائد منها:

1- يُعطِي مساحة أكبر للحوار الثقافي والبحث بكل حريَّة.
2- يُكسب المحاوِر- سواء كان داعيةً أو مفكِّراً أو أستاذاً جامعيًّا...الخ- الثِّقة في تقديم ما عنده بكل حريَّة وبدون قلق أو خوف.
3- يُسهِّل عقد المؤتمرات وإقامة المناظرات والتَّوسِّع في المواضيع ومناقشة أيِّ ظاهرة سيئة بكل حريَّة.
4- يُتيح فرصة أكبر لمناقشة المسؤولين والسياسيين، وإطلاعهم على وجهات النَّظر للدُّول والشعوب الأخرى، ومحاولة تعريفهم بالثقافات والتقاليد السَّائدة في مجتمعات مثل المجتمع الإسلامي، حتَّى لا يبنوا سياساتهم بناءً على تصوُّرات خاطئة.
5- إنشاء المساجد والمؤسسات التعليميَّة للجاليات الإسلامية في الغرب، لتُعنى بتعليم وتثقيف المسلمين في بلاد المهجر، وتحافظ على تقاليدهم كإجراء عقود الزواج وفقاً للشَّريعة الإسلامية، كما أنَّ هذه المؤسَّسات تُعرِّف بالإسلام لغير المسلمين، وترعى مراسم إشهار الدخول لمعتنقيه من الغرب، وهذا كلُّه يتم بحريَّة في ظل الجو الديمقراطي الغربي.

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكن القول بأن الصراع بين الإسلام والغرب أكذوبة روَّجت لها كثيرٌ من الدوائر الغربية، وتعمَّد الدندنة على هذا الادعاء عدد من مثقفي الغرب ومفكريهم، وجاراهم في هذا عدد من كتاب عرب ومسلمين، ولكن الفصل بين السياسة الغربية وهذا الادعاء أمرٌ لا دليل عليه، فهؤلاء المفكرون الذين مشوا في هذا الطريق ينحدرون من خلفيات استخباراتية، هدفهم في هذا خلق رعب من الإسلام وتخويف المجتمعات الغربية منه، في حين أن كثيراً من أبناء الغرب لما تعرفوا على الإسلام أقبلوا عليه بقلوبهم وعقولهم، وقبلته فطرتهم السليمة لأنه دين التراحم والتقارب بين الشعور.

وقد ثبت دون أدنى شك، ومن خلال المنهجية المتبعة في هذا البحث أن فرضية الصراع الهنتنغتوني المزعوم فرضية معكوسة، فليس الصراع إسلامي غربي، بل هو استعداء من بعض ساسة الغرب للمجتمعات المسلمة ومناصبتها العداء وذلك لغايات مذمومة المراد منها النيل من الإسلام والتخويف منه، وإخضاع الدول الإسلامية بجعل (تهمة الإرهاب) سيفاً مصلتا عليها يرفعونه متى ما أرادوا ويرخونه كلما بدى لهم ذلك وفقاً لمصالحهم وتبعاً لرغباتهم، لكن الحقيقة أن الإسلام أضحى دين هذا القرن بلا

منازع، وكلما حاول أعداءه النيل منه ازداد قوة، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

المصادر والمراجع:

1- انهيار النموذج السوفيتي: الأسباب والنتائج، كريس هارمان، ترجمة: خليل كلفت، المركز القومي للترجمة، ط1، 2010م.
2- بنات الأفكار في آداب المناقشة والحوار، مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب. ت. ط)، ص200.
3- تعايش الحضارات: مشروع مضاد لهنتنغتون، هارالد موللر، ترجمة: إبراهيم أبوهشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005.
4- الحرية الدينية في الحوار المدني – الديني في لبنان، سلسلة الأديان والشأن العام، إشراف: زياد الصائغ، (الحرية الدينية والعلاقات الإسلامية المسيحية بمحمد السماك)، معهد المواطنة وإدارة التنوع: الدار الفارابي، بيروت، ط1، 2017م.
5- الصفحة البيضاء: الإنكار الحديث للطبيعة البشرية، ستيفن بنكر، ترجمة: محمد الجوار، دار الفرقد، (ب. ت. ط).
6- صدام الحضارات ... إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، هيئة الكتاب المصرية، القاهرة، ط2، 1999م.
7- صدام الحضارات: دراسة نقدية في جينالوجيا المفهوم، قيس ناصر راهي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2017م.
8- في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: عبد الرزاق الدواي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2013م.
9- في سبيل حوار الحضارات، روجيه غارودي، ترجمة: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط4، 1999م.
10- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2002م.
11- نحن والغرب: عصر المواجهة أم التلاقي، حازم الببلاوي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م.
12- نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكوياما، فريق الترجمة: (فؤاد شاهين، جميل قاسم، رضا الشابي)، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1993م.
13- أين اداء الغرب من الحوار –صدام الحضارات، الشيخ يوسف القرضاوي، 23-أكتوبر-2020م، على: https://www.youtube.com/watch?v=kVfSNp2v4As،.
14- لم يرفُض ترامب إدانة مُنَفِّذ مجزرة المسجدين في نيوزيلندا؟، عبد الباري عطوان، قبل 2 سنة، على: https://www.aleshraq.tv/wtar-detail.aspx?jimare=1670، تاريخ زيارة الموقع: 2021/1/2م.

15- خلفيات اعتراف ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل وتداعياته، تقدير موفق، 11 ديسمبر 2017، مركز الجزيرة للدراسات، على: https://studies.aljazeera.net/ar/article/602

16- منفذ هجوم نيوزيلندا يمتدح ترامب، Mar 17, 2019، على: https://www.youtube.com/watch?v=FfGEMsE9YtM

17- مارين لوبان: المرأة التي تريد "ترحيل جميع المهاجرين" من فرنسا 14 ديسمبر/كانون الأول 2015، على: https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/12/151214_marine_lepen_profile

18- مارين لوبان تريد إعادة تسمية حزبها "القومي الفرنسي" العربي CNN، نشر الأربعاء، 14 مارس / آذار 2018، على: https://arabic.cnn.com/world/2018/03/14/us-france-national-front،

14- غيرت فيلدرز:" تبرئتي انتصار، زعيم اليمين المتطرف الهولندي غيرت فيلدرز، عبر عن فرحته بتبرئته من تهم التحريض على الكراهية والتمييز العنصري ضد المسلمين، على: https://www.youtube.com/watch?v=eGCNqnIuE34،

15- خطاب أوباما والاستشهادات بمعان قرانية، قناة الجزيرة، تقرير محمد رشاد نور، تاريخ بث التقرير: 5\6\2009، على: https://www.youtube.com/watch?v=-zVCnn-70mA

16- جو بايدن يغازل المسلمين ويستشهد بحديث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، Jul 21, 2020، على: https://www.youtube.com/watch?v=MFc9Ms_w4-U،

17- 14-6-2003، على: https://www.nytimes.com/2003/01/14/world/threats-responses-vatican-pope-voices-opposition-his-strongest-iraq-war.html

18- الفاتيكان: الحوار مع المسلمين مستمر، غادة دعيبس، روما، على: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/1/25،

19- رئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو يستشهد بآية من القرآن الكريم في خطاب له، على: https://www.youtube.com/watch?v=_yZqz4ZBp7E

20- نظرية المعرفة عند لوك، أحمد ناظم داوود، مجلة آداب الفراهيدي، جامعة كركوك، العدد: (5 - كانون الأول- 2010).

21- What to make of more than 70m Americans who voted for Trump?, Hamid Dabashi, 21 Nov 2020.

22- THREATS AND RESPONSES: THE VATICAN THREATS AND RESPONSES: THE VATICAN; Pope Voices Opposition, His Strongest, To Iraq War, Frank Bruni,

23- Counter-terrorism gives green light to Wilders' Mohammad cartoon contest, June - 13 - 2018, West Media: https://freewestmedia.com/2018/06/13/counter-terrorism-gives-green-light-to-wilders-mohammad-cartoon-contest/

24- Angela Merkel stresses migrants, Islam in first Bundestag address of new government, 21.03.2018, https://www.dw.com/en/angela-merkel-stresses-migrants-islam-in-first-bundestag-address-of-new-government/a-43065114

25- Darwin's Demise, Nicholas (Author), Md. Comninellis (Author), Joe White (Author), Master book 2001.

26- Merkel: Germany Will Use 'All Means' to Fight Intolerance January 13, 2015 05:53 PM, https://www.voanews.com/europe/merkel-germany-will-use-all-means-fight-intolerance

27- The Clash of CivilizationsTwenty Years On EDITED, J. PAUL BARKERE-INTERNATIONAL RELATIONSEDITED COLLECTIONS, Published by e-International Relations (Bristol, UK) October 2013.

28- Muhammad: Prophet of Peace amid the Clash of Empires, Juan Cole, University of Michigan, 2020, https://www.queensu.ca/religion/muhammad-prophet-peace-amid-clash-empires